جرائم التسوّل

لحضرة اليوزباشى صالح زكى

معاون مكتب حماية الآداب

التسول آفة من الآفات الاجتماعية الخطيرة التى تصاب بها البلاد . وقد كان إلى عهد قريب يعتبر نوعا من أنواع التشرد إلى أن رأت الحكومة أخيرا أن خطره قد استفحل وتفاقم وأصبح يهدد كيان الأمة فسنت قانونا بتحريم التسول واعتباره جريمة كباقى الجرائم يترتب عليها عقاب ، خصوصا أن أغلب المتسولين قد اتخذوا الشحاذة وسيلة من وسائل التعيش وطريقا من طرق جمع المال الى حد الثراء أحيانا .

ولما كانت جريمة التسول غير مقصورة على الرجال والنساء ، بل هناك من يغرون بها الأحداث ، وهؤلاء عادة يكونون إما من أبنائهم أو المشمولين برعايتهم ووصايتهم وإما مسلَّمين اليهم من أولياء أمورهم بقصد التسول . لذلك نص القانون على عقاب كل من يغرى أو يستخدم هؤلاء الأحداث أو يسلمهم لآخرين لغرض التسول . ولكى نتحدث إلى القارئ عن شتى الأساليب التى يلجأ اليها المتسولون يجدر بنا أن نذكر أن هذه الطائفة تنقسم إلى أربعة أقسام :

متسول صحيح الجسم قادر على العمل ، ومتسول عليل الجسم غير قادر على العمل ، ومتسوّل صحيح الجسم غير قادر على العمل ، ومتسول عليل الجسم قادر على العمل .

ولم تشأ الحكومة عندما سنت قانون التسول أن تعتبر كل هؤلاء أمام القانون سواء ، بل جعلت لكل طائفة عقوبة خاصة وهاك نصها :

(١) يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز شهرين كل شخص صحيح البنية ذكرا كان أو انثى يبلغ عمره خمس عشرة سنة أو أكثر وجد متسولا فى الطريق العام أو فى المحال أو الأماكن العمومية ولو ادعى أو تظاهر بأداء خدمة للغير أو عرض ألعابا أو بيع أي شيء .

(٢) يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز شهرا كل شخص غير صحيح البنية وجد فى الظروف المبينة فى المادة السابقة متسولا فى مدينة أو قرية نظمت بها ملاجئ وكان التحاقه بها ممكنا .

(٣) يعاقب بالحبس مدة لا تجاوز ثلاثة شهور كل متسول فى الظروف المبينة فى المادة الأولى يتصنع الاصابة بجروح أو عاهات أو يستعمل أى وسيلة من وسائل الغش لاكتساب عطف الجمهور .

(٤) يعاقب بالعقوبة المبينة فى المادة السابقة كل شخص يدخل بدون إذن فى منزل أو فى محل ملحق به لغرض التسول .

(٥) يعاقب بنفس العقوبة كل متسول وجدت معه أشياء تزيد قيمتها على مائتى قرش ولا يستطيع إثبات مصدرها .

(٦) يعاقب بنفس العقوبة كل من أغرى الأحداث الذين تقل سنهم عن خمس عشرة سنة على التسول وكل من استخدم صغيرا فى هذه السن أو سلمه لآخر لغرض التسول ، و إذا كان المتهم وليا أو وصيا على الصغير أو مكلفا العقوبة تكون العقوبة الحبس من ثلاثة شهور إلى ستة شهور .

(٧) فى حالة العود تكون عقوبة الجرائم المنصوص عليها فى هذا القانون بالحبس مدة لا تجاوز سنة .

(٨) فى جميع الأحوال التى يحكم فيها على المتسول غير الصحيح البنية فى إحدى الجرائم المنصوص عليها فى هذا القانون يأمر القاضى بإدخاله فى الملجأ بعد تنفيذ العقوبة .

وبالرغم من أن الشارع قد جعل لكل أسلوب من الأساليب التى ترتكب بها جرائم التسول عقوبة خاصة إلا أن طائفة المتسولين لم تردعها هذه العقوبات ولم تغفل عن استنباط مختلف الوسائل وشتى الطرق للشحاذة ، وما زلنا نرى بعض الشوارع تموج بطوائف المتسولين موجا حيث يزعجون الجمهور ويضايقونه بحال تدعو إلى إعادة النظر فى أمر هؤلاء وإيجاد الوسائل الكفيلة باستئصال شأفة التسول والقضاء على هذه الجريمة التى أصبحت مرحلة أولى من مراحل الإجرام الخطيرة ، ولقد شغلت هذه الآفة بال الحكومة فلم تتوان بعد أن سنت قانون تحريم التسول فى إقامة الملاجئ والمستشفيات ومطاعم الشعب وجمع طائفة الأطفال المتشردين الذين يهيمون فى الشوارع والأحياء يتسولون ويجمعون فضلات الأطعمة من بين مختلف القمائم ، بل أعد المصلحون لهم الوسائل التى تجعلهم صالحين للحياة العامة والجهاد فى معترك الحياة وتضمن لهم سبل العيش الرغيد .

ولكن هناك مشكلة أخرى يجب أن نراعاها ولا يفوتنا ذكرها لأنها فى الواقع من أهم الدوافع إلى ارتكاب جريمة التسول ، تلك هى مشكلة العاطلين الذين أدى بهم العطل إلى حضيض الفقر وخزى الاستجداء .

هؤلاء يجب أن تنشأ لهم معاهد البر وموائل الإحسان وأن تؤسس لهم شركات للتعاون وصناديق للادخار وأن تضع الحكومة لهم من التشاريع والنظم ما هو كفيل بتسهيل سبل العيش لهم .

أساليب المتسولين :

تحدثنا بإسهاب عن جرائم التسول وعقوباتها، والآن نتحدث عن بعض الأساليب التي اختص بها المتسولون خصوصا الأصحاء منهم والقادرون على العمل ممن اتخذوا الشحاذة صناعة لهم يمارسونها ويتفننون فى أساليبها كما يمارس أى صانع آخر مهنته وينبغ فيها .

فمن هذه الأساليب أن بعض الأصحاء يلجأون الى استخدام أطفالهم فى الاستجداء ويراقبونهم عن بعد ثم يحصلون منهم أولا بأول على كل ماتصل اليه أيديهم وبعضهم يتركون هؤلاء الأطفال إن كانوا أحداثا نهباء يهيمون فى الشوارع يسألون الناس الاحسان وهم لا يعبأون بما يلحق هؤلاء الأطفال من أذى . فتراهم مجردين من الملابس الا من أسمال بالية لاتكاد تقيهم شر عوامل الطبيعة من شمس محرقة أو برد قارص أو سيل جارف ليستدروا عطف الناس وشفقة ذوى القلوب الرحيمة ، وهم يعلمونهم كيف يلحون فى الطلب و يلحفون فى الرجاء وكيف يصلون الى قلوب الناس بالبكاء تارة و باختلاق الروايات المؤثرة تارة أخرى فمنهم من يدعى أنه يتيم الأبوين أو أن أمه واخواته بلا طعام من أيام فتدفعك الشفقة الى الاحسان اليه .

ومن المتسولين من يتصنع المرض فترى بعضهم يضع حول ساقه أو رأسه رباط اسعاف وتحته طبقة من القطن فيدعى أنه مريض وأنه أخرج من المستشفى قبل تمام شفائه وأنه لاتوجد معه أجرة السفر الى بلدته أو مصاريف إتمام علاجه فيتهافت البسطاء ممن جازت عليهم هذه الحيلة لمساعدته ويتسابقون لمعاونته .

ومنهم من يدعى أن به عاهة فتراه يتكئ على متكأ من الخشب مقلدا بذلك المبتور الساق أو من به عرج ويقف فى مدارج الطرقات مادا يده سائلا المارة شيئا من الصدقة .

ومن أساليب الشحاذة التى يتبعها بعض المتسولين الآن فرارا من جريمة التسول وسترا لحالة الاستجداء أن أحدهم يحمل على ذراعه علبة من الورق بها بعض الحلوى لاتساوى قيمتها درهما أو درهمين فيتقدم بها اليك كما يفعل الباعة ولكنه يوجه اليك كلمات فيها معنى الشحاذة فتتصدق عليه إن كنت من المحسنين .

وليست أساليب التسول قاصرة على الاستجداء بألفاظ وعبارات فيها معنى الطلب . بل هناك وسائل للشحاذة بالكتابة أو بالإشارة بإشارات فيها معنى الشحاذة كبسط اليد أو تقديم السائل ورقة يتضمن ما فيها معنى الاستجداء .

وبالرغم من أن القانون ضيق الخناق على هؤلاء المتسولين وسد عليهم طرق الاستجداء المختلفة وأساليبها المتنوعة فان هناك فئة معروفة من المتسولين يتبعون طريقة خاصة فهم مازالوا يزاولون مهنتهم هذه على مقربة من المساجد وأضرحة الأولياء يدعون التقوى والصلاح والولاية فتراهم يجلسون وفى رقابهم سبح وعلى رءوسهم عمامات حمراء وخضراء يرددون بين لحظة وأخرى اسم الله وهم لايمدون يدا ولا ينبسون ببنت شفة بل يتناولون ما يتصدق به عليهم المحسنون فى هدوء وسكون ، وهؤلاء يتخيرون الأوقات المناسبة وهى غالبا أوقات الموالد والأعياد الدينية وفى أيام الزيارة " الحضرة "الأسبوعية وفترات إقامة الصلاة بالمساجد خصوصا صلاة الجمعة .

وللمتسولين أسلوب لغوى خاص وجمل مصطلح عليها يرددونها دائما فبعضهم يسيرون جماعات فى ظلام الليل يصيحون معا "عشانا عليك يا رب" والبعض يكتفى بكلمة " لله لله " وآخرون يقولون الله يحنن عليك ، الله يجبر بخاطرك ، الله يعود عليك الأيام بخير ، وجبر الخواطر على الله ، كريم يارب وتحب كل كريم ، هنيئا لك يافاعل الخير ، يافاعل الصواب " الثواب " لله . وقد كاد الشحاذون الذين يتخذون هذا الأسلوب ينقرضون أو يقلعون عن هذه الطريقة لأنها لا تتفق مع وجود الحرب القائمة بين رجال البوليس وجماعة المتسولين الآن .

وقد كان للمتسولين شيخ خاص يتزعمهم ويأمرهم فيأتمرون بأمره ويملى عليهم إرادته فلا يترددون فى تنفيذها ، وظلت زعامته هذه قائمة إلى أن صدر قانون تحريم التسول وشن رجال الحفظ غارتهم على المتسولين فشتتوهم فزالت دولة هذا الزعيم .

وقد لجأ بعض المتسولين فى هذا العهد الأخير الذى يقاوم فيه رجال البوليس آفة التسول الى طريقة لمزاولة مهنتهم وهى أن هؤلاء ينتهزون فرصة زحام الركاب بالقطارات وسيارات الاتوبيس فيندس بينهم وهو معصوب العينين أو مربوط الساق متقنا بذلك شخصية الأعمى أو الأعرج فيستجدى الركاب وهو آمن من مطاردة رجال البوليس وكثيرا ما يتخذ بعضهم شريكا له يتظاهر بأنه أحد الركاب فيفتتح الاكتتاب بالاحسان عليه ليقتدى به من تأخذه الشفقة منهم .

وهكذا لا نزال نرى جماعة المتسولين يحاولون مقاومة المجهود الجبار الذى يبذله رجال الحفظ فى مطاردتهم باستنباط شتى الأساليب لمزاولة مهنتهم هذه التى بالرغم من أنها كانت مصدرا لثراء بعضهم فانهم لم يقنعوا بهذا الثراء بل ما برحوا يحترفون التسول لأنه أصبح صناعة رابحة ومهنة رائجة لا غنى عنها . ولا حياة لهم بدونها .

وسائل منع التسول :

التسوّل فى اصطلاح القانون استجداء الناسَ الاحسان بلامقابل، فالسائل يرتكب جريمته بالاستجداء والتوسل والرجاء فماذا يحصل اذا نحن لم نستمع لهذا التوسل أونذعن لذلك الرجاء ؟ ألسنا بذلك نكون قد سددنا السبل فى وجه هذا السائل فصرفناه عن تعاطى الشحاذة إذاً لماذا لايتكاتف الجمهور مع رجال الحفظ للقضاء على آفة التسوّل بالامتناع من جانبهم عن إعطاء شىء من الاحسان للمتسوّل أيا كان . والتبليغ عن كل من يتعاطى هذه المهنة بأية وسيلة وفى أى مكان ؟ قد ينتقد البعض هذا الرأى لأنه يخالف السنن الانسانية وفيه قضاء على عاطفة من أسمى العواطف هى عاطفة الإحسان ولكن ماضرنا لونظمنا الإحسان فتولته جماعات تختص بجمع التبرعات والاكتتابات لتوزيعها على البائسين الذين تحل بهم الكوارث ويخنى عليهم الزمان . فبدلا من أن يتصدق المحسن على متسوّل قد يكون محترفا مهنة التسوّل أو متصنعا المرض أو مدعيا الفقر يبعث بما جاد به إلى تلك الجماعات . ولقد عنيت الحكومة بإنشاء الملاجئ والمطاعم والمستشفيات وتخصيص الهبات للعائلات التى أخنى عليها الدهر وغير ذلك من الوسائل المحققة لرفاهية الشعب وتخليص أفراده الفقراء من براثن البؤس والفقر فلماذا لاتتعاون الجماعات وكافة الطبقات مع الحكومة للقضاء على آفة التسوّل بالطريقة التى ذكرناها .

ومن وسائل القضاء على آفة التسوّل سن قانون للهجرة داخل البلاد فقد ظهر أن أكثر المتسولين خصوصا الأحداث هم قوم ممن ضاقت بهم سبل العيش فى بلادهم فنزحوا إلى المدن طمعا فى الرزق وأغلبهم أناس لم يألفوا الحياة فى المدن ولم يعرفوا كيف السبيل الى وسائل العيش فيها . ترى المرء منهم يكدح طول يومه يقطع جنبات الأرض ويذرع مدارج الطرقات باحثا عن عمل يسدّ به رمقه ويدفع عن فلذات أكباده ذئب الجوع فلا يكاد يصيب سداد العوز ولا عيش الكفاف . حتى اذا ضاقت به الحال ، وانسدت فى وجهه السبل لجأ إلى الاستجداء وترك أولاده يهيمون ويتحدرون لعدم رعايتهم إلى درك الإجرام وفساد الأخلاق .

فلماذا لا تسن الحكومة قانونا تنظم به انتقالات هؤلاء من جهة لأخرى كأن تفرض مثلا على من يريد النزوح من بلده إلى المدن أن يكون له فيها عمل يتعيش منه أو رزق يصيبه .

قد يكون فى ذلك تضييق على فئة بائسة لم تستطع الحصول على أقواتها فى القرى حيث طغت عليها الفاقة وعوامل الأزمات ولكن ماذا يضيرنا لو مهدنا لهم سبل الرزق باستخدامهم فى كثير من المشروعات الحيوية المفيدة كاقطاعهم بعض أراضى شمال الدلتا لاستثمارها كما فعل سعادة محافظ العاصمة عبد السلام الشاذلى باشا مع الأطفال المتشردين فقد أعد لهم مزرعة وبعث بهم اليها فلم يلبثوا أن جعلوها جنة من جنات النعيم .

ورب سائل يسأل عما نتبعه مع أمثال هؤلاء من المستوطنين المدن الآن فأقول إن قانون الهجرة الذى اقترح سنه سيشمل ضمنا عدم إبقاء من لا عمل له بالمدن فاما أن يرحل لبلدته و إما أن نبعث به إلى حيث يجد مجال الرزق وطريق الحياة .

لقد نيط بمكتب حماية الآداب بالقاهرة موضوع مكافحة التسول ومطاردة المتسولين وقد قام رجال هذا المكتب بمجهود عظيم يقابل بالحمد والثناء ولكن جيش المتسولين مازالت كتائبه منتشرة فى كثير من الأماكن خصوصا على مقربة من البنوك والبيوتات المالية والمتاجر الكبيرة والمساجد والكنائس الشهيرة وما زلت تراهم يتسكعون فى كثير من الطرقات وفى المحطات وأمام المنازل التى تقام فيها الحفلات ، فلنعمل حكومة وشعبا على تطهير بلادنا من هذه الآفة ، والله ولى العاملين .

صالح زكى

يوزباشى